العدد (4091) السنة الخامسة عشرة - الثلاثاء (19) كانون الأول 2017
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

لماذا يحبُّ الحاكم العربي كرسي السلطة؟

□ د. قاسم حسين صالح

بدءاً نقرر أن لا أحد يدخل ميدان السياسة في العالم العربي ما لم تكن لديه ميول عدوانية، غير أن حدّتها تختلف من شخص الى آخر ومن حزب الى آخر،وتحليلنا لعدد من الحكّام العرب،أفادنا بأنهم يشتركون بصفات نوجزها بالآتي:

١. البارانويا. في اليوم الذي يجلس فيه الحاكم العربي على كرسي الحكم، فإن البارانويا تجلس معه،ونعني بها الشك المرضي بالآخر المتمثل بسرعة الاتهام للآخرين بالكذب والتآمر عليه، والخوف من الاستيلاء على الكرسي حتى من أقرب الناس إليه بمن فيهم إخوته. والمشكلة النفسية هنا،أن الحاكم ينشغل فكره بأوهام واضطهاد وتآمر عليه تتحول لدى بعضهم الى هذيان نفسي يكون موضوعه كرسي الحكم.

٢. متلازمة الغطرسة. يعود اكتشاف هذا الاضطراب النفسي الى وزير خارجية بريطانيا الأسبق (ديفد أوين) الذي كان طبيباً نفسياً.وتتحدد خلاصة هذا الاضطراب بأن الحاكم اذا جلس على كرسي الحكم فإنه يذوب في السلطة.وتتجسد ملازمة الغطرسة فيما يخص الحاكم العربي، بأنه يصبح مهووساً بالسلطة،ويختزل الناس والوطن في شخصه، مثال ذلك صدام حسين الذي رفع شعار (صدام هو العراق).غير أن الغطرسة هي أحد الأسباب التي تسقط الحاكم من الكرسي.. مثال ذلك، جاء ضابط رفيع الى الأمير عبد الإله والباشا نوري السعيد يخبرهما بحركة انقلاب عسكري(١٤ تموز ١٩٥٨) فلم يكترثا،وكذلك سخر معمر القذافي من المتظاهرين،وقتل ببشاعة. ويبدو أن الغطرسة علّة كل الحكام المستبدين، فحين حذروا الدكتاتور نيقولاي شاوشسكيو من التظاهرات،اجابهم ساخراً: لن يحدث تغيير في رومانيا إلا إذا تحولت أشجار البلوط الى تين!..وانتهى به الأمر الى إعدامه.

٣. النرجسية الخبيثة. تتألف هذه الحالة السيكولوجية من مزيج من النرجسية المصحوبة بشعور العظمة ، واضطراب الشخصية المعادية للمجتمع، وقساوة القلب،والأنانية المطلقة.وأوضح مثالين لها، هما معمّر القذافي وصدام حسين. ففي تسعينيات القرن الماضي كان العراق محاصراً اقتصادياً والشعب في أسوأ حال (اساتذة جامعات عملوا سواق أجرة بسياراتهم الخاصة!) كان صدام يبني قصوراً له، وكاد أن ينجز منتصف التسعينيات بناء اكبر مسجد في العالم يحمل اسمه وسط بحيرة صناعية في منطقة المنصور في بغداد..لولا الحصار.

٢- الدين الإسلامي

بدءاً،أنا احترم الدين، وأجلّ علماء الدين الذين يقدسون قيمة الحياة،ويحترمون الرأي الآخر بغض النظر عن: جنس،هوية ،دين، مذهب..قائله. وأرى أن الدين الاسلامي يعاني من اشكالية خطيرة انعكست على صناعة الحاكم العربي تتحدد بتعدد مذاهبه. فهنالك اربعة مذاهب في السنّة ومذهبان في الشيعة، فضلاً عن مذهبي الأباضية والظاهرية.

والاشكالية هنا،أن المنتمين لهذه المذاهب من رجال الدين والحكّام، باستثناء الذين يعتبرون الدين غاية وليس وسيلة دنيوية، مصابون بعلّتين:

الأولى: فكرية، معرفية..هي الدوغماتية أو التصلب الفكري أو الاعتقاد الجازم واليقين المطلق المستند الى مبادئ تقليدية راسخة دون البحث عن وجه الحق في التسليم بها. وتظهر هذه الحالة لدى الحكّام الذين يسعون الى فرض آرائهم بالسلطة، أو بالنفوذ أو بالمال.

والثانية: سيكولوجية.. هي التعصب، وتعني نزعة الحاكم نحو تفضيل جماعته وأبناء مذهبه على افراد الجماعات التي تنتمي لمذاهب أخرى، ونظرته الى جماعته على أنها مركز كل شيء ومرجع كل شيء، وإن طريقتها في الحياة ونظرتها للدين والحكم.. هي الصحيحة.

والمشكلة،أنه نجم عن هاتين العلّتين ما كنّا اصطلحنا على تسميته بـ(الحول العقلي). بمعنى أن الحاكم العربي (أحول عقل) لأنه يضخّم ايجابيات جماعته ويغمض عينيه عن سلبياتها، ويضخّم سلبيات الجماعة الأخرى ويغمض عينيه عن ايجابياتها.. ويخرّج ذلك باسم الدين!.. بل إنه يجد نصوصاً فيه تبرر سوء ما يفعل!.

٣- تاريخ السلطة

انتجت السلطات التي توالت الحكم في العالم الإسلامي (الأموية والعباسية والعثمانية) قائمة طويلة من الحكام الطغاة والقساة والسفهاء والفاسقين والذين يشعرون بالدونية، ولم تنتج السلطة في الاسلام حكاماً قدوة الا بعدد أصابع اليدين، نخّص منهم:

× عمر بن الخطاب، صاحب مقولة: (لو عثرت بغلة في العراق لسألني الله تعالى عنها لما لم تمهّد لها الطريق ياعمر؟)، والذي التزم المساواة في الشريعة والعدل بين الرعية.

× علي بن أبي طالب، صاحب مقولة :(الناس صنفان اما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)، والمؤتمن على مال المسلمين والذي كان يلبس لباس الفقراء ويأكل أكلهم.

× عمر بن عبد العزيز، المحب للعلم والعلماء الذي أعاد للعلويين حقوقهم والمؤتمن على مال المسلمين أيضاً، ولك أن تستشهد بحكاية عمّته التي جاءت اليه تطلب زيادة على راتبها من مال المسلمين فوجدته يأكل عدساً وبصلاً.

والمفارقة أن عمر وعليّاً.. قُتلا، ومات عمر بن عبد العزيز بالسم ولم يكمل في الحكم سنتين ونصف السنة.

وحديثاً، لدينا إنموذجان من الحكام العرب القدوة، هما سوار الذهب الذي تسلم السلطة في السودان عام ١٩٨٥ اثناء الانتفاضة، وسلّم كرسي الحكم بعد سنة واحدة، وعبد الكريم قاسم الذي كان ينام على سرير عادي في وزارة الدفاع وقتل وفي جيبه خردة أقل من دينار.. ما يعني أننا لا نملك الآن حاكماً عربياً بمواصفات القدوة، فضلاً عن أن تاريخ السلطة في الإسلام قام على سيكولوجيا الغالب والمغلوب، ومنح الحاكم الشعور بأنه امتداد للخليفة.

٤- جمهور الحاكم

اثبتت التجارب السيكولوجية (فيليب زمباردو بجامعة ستانفورد،بـ"اختبار سجن ستانفورد،وستانلي ملجرام بجامعة ييل حول "الطاعة ودرجة الانصياع للسلطة") إن الإنسان الذي يتعرض الى ظلم واضطهاد وتعذيب ولا يجد وسيلة للخلاص، فإنه يستسلم حتى لو توافرت له فرصة الخلاص.

ويكشف لنا واقع الحال، بأننا اذا استثنينا المناضلين من رجال الدين الى الشيوعيين الذين ثاروا ضد الحكام الطغاة، فإن الغالبية المطلقة من الشعوب العربية تعودت الخضوع والخنوع والتملق للحاكم ،لسببين،الأول، تبريري، بتخريج ديني (وأطيعوا أولوا الأمر..) والحاكم هو ولّي الأمر المطلق، والثاني ..الشعور بالعجز المصحوب بالخوف من بطش الحاكم.. ما يعني أن (الشعب) شريك في جعل الحاكم يحب الكرسي، بل إنه قام بتأليه كثيرين، ووصف حكاماً طغاة بأنه هبّة السماء للأرض.

تلك هي العوامل التي أدت الى أن يلتصق الحاكم بكرسي السلطة الى يوم يخصه عزرائيل بالزيارة ليورثها لأبنه قبل النفس الأخير. ولأنه لم يحصل تغيير جوهري في هذه العوامل السيكولوجية – السياسية – الاجتماعية، فإنه لن يأتي حاكم عربي يرى في كرسي السلطة أنه وسيلة لخدمة الناس وأنه تاركه متى طلب الناس منه ذلك، إلا بإشاعة الوعي الانتخابي الهادف الى إقامة دولة مدنية يكون فيها الدين بعيداً عن السلطة وكرسي الحاكم.

* مؤسس ورئيس الجمعية النفسية العراقية

إنهم شعب كردستان أيها الإخوة

□ زهير كاظم عبود

منذ بدء عملية الاستفتاء التي أجرتها حكومة الإقليم وحتى اليوم، لم تزل القرارات والإجراءات المتخذة من قبل الحكومة الاتحادية تطال شعب كردستان، وتزيده وجعاً فوق المواجع التي خلفتّها السياسات والقيادات والتناحر الحزبي والفساد، وفوق كل تلك الإجراءات لم نلمس بادرة لحل الإشكالات والاختلافات التي قررتها الحكومة الاتحادية، والتي ساندتها المحكمة الاتحادية العليا، والتي استجابت لها والتزمت بها حكومة الإقليم.

منذ تلك الفترة وحتى الغد، يعيش في الإقليم ملايين المهجّرين من داخل أو خارج العراق، لم يشعر أيُّ مواطن منهم أنه أصبح خارج مسؤولية الإقليم، والمخيمات التي تكاثرت خير شاهد على ذلك، وكنا نعتقد أن ثمّة عقولاً حكيمة وحليمة تتسارع لدرء الأخطاء التي تَشاركَ بها كلا الطرفين خلال الفترة الماضية، وأن تطرح بشكل مستعجل مبادرات لحسن النيّة، وأن نتذكر دوماً بأننا نزعم بأننا شركاء في هذا الوطن، وإن الدستور العراقي يسمّي نظام الحكم في العراق بالنظام الديمقراطي الاتحادي، وإن كل عراقي مهما كانت قوميته أو دينه أو مذهبه يتساوى مع غيره من العراقيين أمام القانون دون تمييز، وإن النظام الاتحادي يقر إقليم كردستان وسلطاته القائمة إقليماً اتحادياً، وبهذا فإننا نجد من الضروري أن نستعيد المواقف والصفحات الوطنية المجيدة التي وقفها هذا الشعب المناضل والمكافح، وأن نتصفح تاريخنا القريب والبعيد لنتذكر كل صفحات المشاركة الحقيقية في الحياة والنضال والدفاع عن حقوق الإنسان وكرامة العراقي، ما يدفعنا لمواقف وطنية مشتركة .

إن الاستفتاء أصبح إجراءً في سياقات الماضي، وان المحكمة الاتحادية ألغت جميع ما يترتب عليه من إجراءات، والتزام حكومة الإقليم دليل واضح على أنها تحترم قرارات المحكمة الاتحادية، فلم تعد هناك من ذرائع أو حجج يمكن التعكّز عليها لفرض عقوبات على الشعب الكردي في العراق، وكلنا نعرف أن هذه العقوبات لن تضر أو تمسّ بأيّ من القيادات، كما كنا نعرف بأن الحصار المفروض على مطارات الإقليم والمنافذ الحدودية دون حل منطقي ومقبول يضر بشكل بليغ بالحكومة الاتحادية وبحكومة الإقليم إن لم نجد الحلول المستعجلة، بالإضافة إلى الضرر البليغ الذي يقع على مصالح الناس .

كلنا ثقة من أنّ التعامل مع هذه الإشكالات والخلافات بعقلية الحكيم والوطني الحريص عراقياً يمهّد الطريق لإنهاء كل الإجراءات الاستثنائية، بعيداً عن الشحن القومي ومفاهيم المنتصر والمنكسر، ومن أجل أن نجعل الأخوّة والشراكة الحقيقية في موقعها ومفهومها الوطني، وأن نمد أيادينا لبعض حتى لا نجعل لمفاهيم الفرقة والتباعد والتشنج والتعصب القومي عربياً أو كردياً أو تركمانيا مكاناً في حياتنا، ونجد أن اختزال الزمن لطرح النتائج الايجابية سيمُهّد الطريق لحل أوضاع مخيمات النازحين والمهجرين، وسيُمهّد الطريق أيضاً لحل إشكاليات الطبقة الفقيرة والمُعدمة التي تعيش دون رواتب ودون موارد، وإن الفساد المستشري في جسد العراق لم يعف إقليم كردستان مطلقاً، وحتى يمكن أن تكون للفَيدرالية معنى دستوري ملموس، فإنّ الحكومة الاتحادية مطالبة بفتح كل الملفات الشائكة بشكل مُستعجَل، وإن حكومة الإقليم مطالبة أيضاً بأن تفتح عقلها وقلبها لمصلحة العراق الاتحادي ولشعب كردستان العراق، ونأمل أن يكون المنهج السياسي لكل الأطراف منهجاً عراقياً يضع مصلحة الشعب والمستقبل أمامه قبل أيّ مصلحة أخرى .

من زاوية نظر أمريكية

نحو ستراتيجية أمريكية متكاملة في سوريا والعراق

طُلَبَ مني أن أناقشَ تطوير النهج الأمريكي في التعامل مع العراق وسوريا. سأحاول أن أفعل ذلك بأقصى قدر مستطاع من الدقة والإيجاز. الإيجاز لن يكون مشكلة، لكن الدقة أمر آخر. فأنا قد خرجت من الحكومة منذ خمس سنوات، وبالرغم من أنني على اتصال مع الزملاء السابقين وأحاول أن أقدم أفكاراً حول الأهداف والستراتيجيات، إلا أنني أدّعي معرفة قرارات القائد العام حول قضايا رئيسة فيما يتعلق بسوريا والعراق.

□ فريدريك هوف×

ما أعتقد أنني أعرفه هو أن إدارة ترمب ترى العراق وسوريا بوصفهما انعكاساً للتدخل الإيراني العسكري. حتى وقت قريب كان هذا المنظور يركز على داعش وخلافته. لكن مع تقلص أبعاد حدود الخلافة بنسبة ٩٥٪، فإن التركيز الآن على إيران. أعتقد أن الإدارة سوف توضح الأهداف العامة المتعلقة بالأمن القومي في العراق وسوريا، والتي تتلخص في تحييد التدخل الإيراني السياسي ومنع الجسر الأرضي الذي تستخدمه من العراق عبر سوريا لتصل إلى وكيلها الأول في العالم العربي، حزب الله.

السؤال الرئيس، كما هو واضح، يتعلق بالستراتيجية والتطبيق. ومن الواضح أن هناك إصلاحات على المدى القصير.

النفوذ الإيراني في العراق تزايد بشكل مطرد منذ عام ٢٠٠٣، وقد استغل غزو تنظيم داعش للعراق في عام ٢٠١٤. في سوريا، فإن إيران تتفوق على روسيا كداعم خارجي الأساسي لنظام الأسد والذي يبدو الآن مؤمّن سياسياً. ترى طهران في الحفاظ على الأسد أمراً ضرورياً لحماية حزب الله، إذن: كيف يمكن لإدارة ترمب أن تحاول، عبر الوقت، تحييد أو تقليص النفوذ الإيراني في البلدين؟

في المجلس الأطلنطي قمنا للتو بالبدء في مبادرة حول العراق لمدة أربع سنوات، هذه المبادرة تتابع العمل الذي بدأ مع مجموعة عمل مستقبل العراق، التي قادها السفير ريان كوكر. تحدد مجموعة العمل أهداف الولايات المتحدة بعراق مستقل ومستقر ومزدهر، متوحد في سلام ضمن حدوده ومع جيرانه، الأمر الذي يعكس نظام حكم شرعياً وفعّالاً، ويميل بشدة للتعاون مع الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. وأشك أن إدارة ترامب سوف تختلف مع هذه الأهداف.

تقترح مجموعة العمل أن تعتمد ستراتيجية الولايات المتحدة على خمس نقاط:

أولاً: الالتزام العلني بالانخراط مع العراق على المدى الطويل.

ثانياً: مساعدة العراق على تحسين الأداء الحكومي وتقليص الفساد.

ثالثاً: مساعدة العراق على تقوية اقتصاده.

رابعاً: الاستمرار في التواجد العسكري عقب هزيمة تنظيم داعش من أجل المساعدة وتقديم المشورة والتدريب والإمداد لقوات الأمن العراقية.

وأخيراً، العمل مع بغداد وأربيل لمساعدة الحكومة المركزية وحكومة كردستان على حل النزاعات القائمة.

هذه النقاط باختصار تعني العمل على تقوية دولة العراق ومؤسساتها الأمنية الرسمية، والعمل على ذلك بالتعاون مع الحلفاء.

ما أشعر به هو أن إدارة ترامب تتحرك في اتجاه متسق مع هذه التوصيات، لكن علينا أن نضع في أذهاننا وصف تشرشل لموسوليني: شهية كبيرة، وأسنان ضعيفة. فالتزام طويل المدى متعدد الأوجه في العراق – حتى مع شركاء ناشطين – سيكون عبئاً دبلوماسياً ثقيلاً. من الذي سيقوم به؟ لا شك أن وزير الدفاع ماتيس يفكر في العراق حين يدعو لتعزيز عناصر القوة الأمريكية، ليس فقط على المستوى العسكري.

في سوريا، ورثت إدارة ترامب سياسة كارثية. حرصت إدارة أوباما على عدم استبعاد إيران من أجل الاتفاق النووي، وفي سبيل ذلك تخلت عن حماية المدنيين السوريين من القتل الجماعي وحملات العقاب الجماعي من قبل نظام الأسد. أنتجت حرب نظام الأسد على المدنيين، إلى جانب تخطي كل الخطوط الحمراء، كوارث متعددة في سوريا وما بعدها. إذن فالنتيجة الرئيسة هي الكارثة الإنسانية الأسوأ في القرن، وتقديم سوريا كفريسة سهلة لتنظيم داعش وجماعات طائفية أخرى، وأزمة مهاجرين تهدد الاستقرار السياسي في أوروبا، والوجود العسكري الروسي في سوريا وما بعدها، والخسارة الأمريكية والأوروبية الخطيرة للمصداقية، ودولة سورية محاصرة تقع في يد إيران.

إن عدم الشرعية السياسية، الناجمة عن احتقار صريح لرضاء المحكومين، فتحت في كل من العراق وسوريا مجالاً لاختراق اللاعبين الطائفيين من السنة والشيعة. ففي العراق، ومنذ سبتمبر/أيلول ٢٠١٤، كان للولايات المتحدة حظ في العمل مع رئيس وزراء محترم وبعض الوحدات العسكرية المحترفة. في سوريا، كان هناك سلوك قاتل للحكومة مما فتح المجال أمام التطرف، وكانت القوات البرية التي تحارب الخلافة بالأساس تحت قيادة المسلحين الكرد، مما أدى إلى سخط تركيا. مع أفول نجم الخلافة، فإن السؤال الآني المطروح الذي يواجه واشنطن هو ما الذي يمكن فعله مع الأراضي السورية شرق نهر الفرات والتي تم تحريرها من الخليفة المزيف؟

يبدو أن الإدارة الاميركية تريد الاحتفاظ بنهر الفرات كمنطقة خالية من النزاع بين قوات سوريا الديمقراطية المدعومة من الولايات المتحدة ونظام الأسد، والذي يعتمد على الميليشيات المدعومة من إيران. قال المسؤولون الأمريكيون مؤخراً، إنه ليس هناك عجلة لرحيل المستشارين العسكريين الأمريكيين من شرق سوريا. من الواضح أن واشنطن ترى أن حلول قوات نظام الأسد والميليشيات المدعومة من إيران محل تنظيم داعش سيجعل من شرق سوريا عرضة لتجدد التطرف الإسلامي السني إلى جانب تسهيل تحقيق أهداف إيران الإقليمية.

حقيقة، فإن الإدارة ربما ترى شرق سوريا في إطار أوسع من إحلال الاستقرار عقب انتهاء الصراع وتحريره من الأسد وإيران. إن إدارة ترامب لديها ممارسة مستمرة وموروثة من سابقتها في إدانة اعتداءات نظام الأسد والدعوة إلى إحلال السياسة الانتقالية المتفاوض عليها والتي يمكن أن تجعل سوريا تتخطى الأسد وأسرته وحاشيته. لهذا الهدف، فإن الإدارة أعلنت أنها تدعم مفاوضات السلام في جنيف تحت إشراف الأمم المتحدة. ربما تحسب أنه إذا تم حرمان نظام الأسد من المنطقة الشرقية ومواردها من النفط، ربما تستطيع الولايات المتحدة كسب نفوذ أبعد من النداء اللفظي الداعي لتنحي الأسد.

أوضحت الإدارة أنها تعارض برنامج إعادة الإعمار على نطاق كامل في سوريا طالما أن الحكومة السورية في يد أسرة الأسد وحاشيته. كما أصدر مركز الحريري الذي أترأسه، تقريراً يضع ستراتيجية لإعادة الإعمار تركز على المناطق التي لا تقع تحت سيطرة النظام، إنه تحدٍ معقد وشاق.

أخيراً، أتشكك في أن إدارة ترامب تتابع بشكل يومي أخبار الحدود التي تلتزم بها روسيا للمساعدة في سوريا. يؤكد المسؤولون في الإدارة للمتابعين، أن روسيا وإيران لديهما تاريخ طويل من العداوة وأن روسيا تريد إعادة الإعمار بشكل كبير يصل إلى حد استعدادها لتخطي الأسد. تقوم الطائرات الروسية بلا اكتراث باختراق المجال الجوي السوري شرق الفرات، مما يعرض طائرات التحالف والقوات البرية الشريكة للخطر. أخشى أن هذا سيؤدي لحادث خطير.

ما يبدو واضحاً أن الرئيس بوتين يشعر بارتياح مع إدارة إيران لسوريا عبر الأسد، مما يساعده في ادعاء – من أجل الاستهلاك المحلي – أنه قد هزم الولايات المتحدة في سوريا. ما أعلن عنه بوتين حول انسحاب قواته من سوريا يهدف إلى إقناع الروس بأمرين قبل أول جولة لانتخابات الرئاسة في مارس ٢٠١٨: أن روسيا انتصرت وأنها ستتجنب السقوط في مستنقع. لا أتوقع أن أرى انسحاباً روسياً يذكر من الأراضي السورية في وقت قريب، في الأقل حتى يتمكن الأسد من السيطرة على كامل البلاد، وهو أمر إشكالي.

إن تأسيس الشرعية السياسية في العراق وسوريا سيكون صراع أجيال، والعراقيون والسوريون هم الوحيدون المسؤولون عن النتائج. أوضح الرئيس ترامب معارضته لقيام الولايات المتحدة بـ"بناء الأمة". إلا أنني أظن أنه يدرك الحاجة لالتزام طويل الأمد من قبل الولايات المتحدة وحلفائها في العراق وسوريا. وهذا، في ظني، هو العنصر الأهم لتطوير نهج واشنطن حيال هذين البلدين.

×سفير سابق، مدير مركز رفيق الحريري للشرق الأوسط. وهذه ورقة مقدّمة الى المنتدى البرلماني لحلف شمال الأطلسي (ناتو) الذي انعقد في جامعة الدفاع الوطني في ١١ كانون الأول ٢٠١٧.